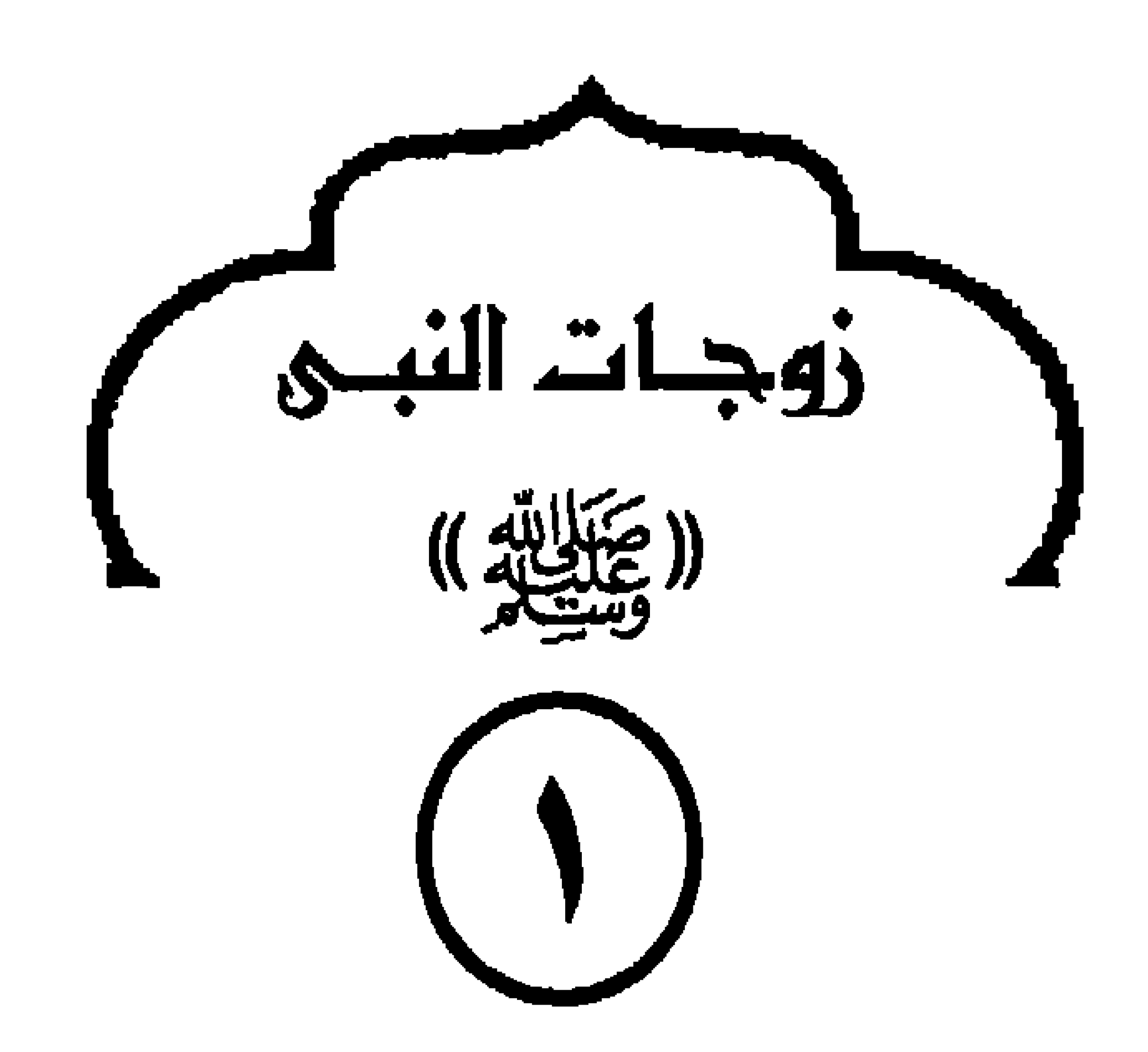

١
أمُّ المؤمنين
خديجة بنت خويلد
رضي الله عنها
زوجات النبي
صلى الله عليه وسلم
دار الدعوة



خديجة

«بنت خويلد»

أم المؤمنين

رضي الله عنها

دار الدعوة

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م

رقم الإيداع القانوني

٩٧/٢٣٤٦

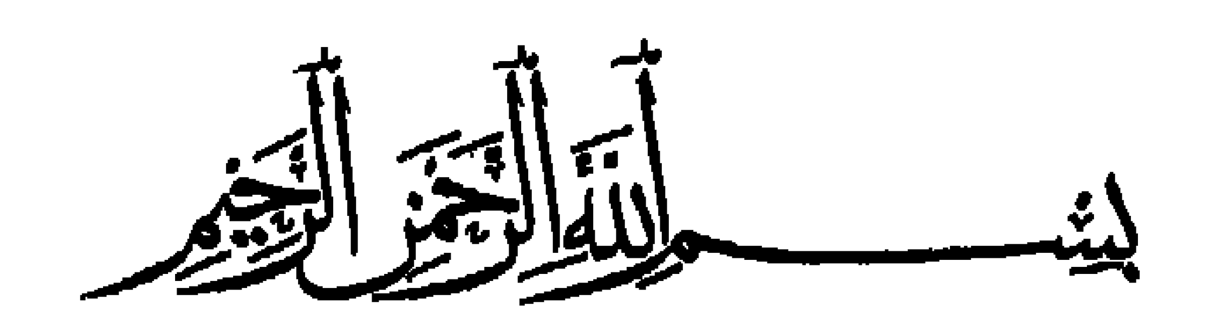
الترقيم الدولي: 977-253-134-8

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : ٢ ش منشا ـ محرم بك ـ الإسكندرية.

ت:٤٩٠١٩١٤ـ٤٩٠٧٩٩٨ ـ فاكس :٥٩٥١٦٩٥

مكتب توزيع القاهرة :ت :٣٨٣٢٧٤٧



*قالت « خديجة » - رضى الله عنها -

تُثَبِّت رسول الله «ﷺ» :

[والله ...لن يخزيك الله أبداً ؛ إنَّك لَتَصِلُ الرَّحم، وتَصدُق الحديث، وتحملُ الكَلَّ ، وتكسب المعدوم، وتُقْرى الضَّيْف ، وتعين على نَوائِبِ الدَّهْر] .

نسبها

كان والدها« خويّلد بن نوفل» زعيم« بنى أسد بن عبد العزى» شقيق «عبد مناف» وخليفته. . . ،

إليه ينتهى الفضل والكرم والسيادة بين قومه وعشيرته، يطيعونه ويهابونه، ويحترمون رأيه ويقدرونه .

ولقد حفظت« قريش» له شجاعته عندما تصدى لـ« تُبَّعٍ» ملك « اليمن» حين أراد أن يحمل معه(الحجر الأسود) إلى بلاده، فمنعه من ذلك، فنصَّبَتْه «قريش» عليها زعيماً، لاينازعه فى ذلك أحد.

وكان له أخ اسمه «ورقة» اشتهر بين الناس بالحكمة وسداد الرأى، وهو أحد أربعة خاصموا قريشاً فى وثنيتها وعبادتها للأصنام، ولما لم تستجب لهم اعتزلوها وما تعبُدُ من دونِ الله.

ولادتها

تزوج خويلد من فاطمة بنت زائدة بن الأحم - القرشية - أجمل سيدات «مكة» وأكثرهن صباحة وجه، وروعة حسن، فولدت له « خديجة» - رضى الله عنها- ، فكانت صورة عن والدتها، إذ ورثت عنها الجمال الرائع والحسن الفتان، كما ورثت عن والدها «خويلد» الحزم والذكاء، واكتسبت من ابن عمها« ورقة» العِلم والحكمة.

نشأتها

نشأت «خديجة» - رضى الله عنها - فى بيت طاهر كريم مترف؛ ولما بلغت الخامسة عشرة من عمرها خطبها« أبو هالة بن زرارة»(١) التميمي - فتى قومه «بنى تميم» وأكثرهم مالاً وأوسعهم ثراء، فعاشت معه تقدره ويقدرها،

١- قيل اسمه : « نمّاش » أو « نبّاش» أو « مالك».

وولدت له بنتين هما: «هالة» و«هند».

ولكن القدر عجل بوفـاة الأب قبل أن تشب الطفلتان عن الطوق، وخلّف لأسرته ثروة طائلة، وتجارة رائجة رابحة.

الزواج الثانى

ولما عُرف عن « خـديجة» ـ رضى الله عـنها ـ من حـسن وخُلُق، تَنافس فتيان العرب على الاقتران بها، وفاز من بينهم « عتيق بن عائذ» ـ المخزومى.

وكان القدر بالمرصاد أيضاً، فلم يَدَع الزوجين يهنئـان وينعمان، فاختطفت يد المنون «عتيقاً»، دون أن ينجب ولداً.

فى ميدان التجارة

انتقل « عـتيق» إلى الدار الآخرة، وقـد خلّف لزوجته مالاً وفـيراً، وثروة عريضة، وتجـارة واسعة، فقـامت على إدارتها وتوجيـهها بما أوتيتـه من خبرة ومعرفة وذكاء.

واستطاعت أن تمضى فى دورب الحياة وتشقها بمنتهى الحكمة والفطنه؛

وكانت كلما تقدّم إليها خاطب ردّته بأدب ولباقة. . .، عارفةً عن الزواج، لأنها قد مرّت من قبل بتجربتين مريرتين.

لقد عملت « خديجة» - رضى الله عنهـا ـ فى ميدان التجارة واستطاعت أن تؤسس فى «مكة» بيتاً مـالياً ضخماً ، أصبح من بعـد عَلما عليها، يُعْرف بها ورحلت قـوافلها تمضى مُصعِّدة إلى الـشام، أو هابطة نحو اليـمن، تغزو الأسواق، وتحمل منها مايدرٌ عليها الربح الوفير، والمال الكثير.

الطاهرة « سيدة قريش»

لكن شهرتها ـ رضى الله عنهـا ـ لم تقف عند حدٍّ المال والجمال. . .، بل

تعدَّت ذلك إلى سيرتها التى كانت نبراساً لكل فتاة ولكل أم، فعرفت بين القاصى والدانى بِلَقَبَيْ: « الطاهرة» و« سيدة قريش».

وكانت يد العناية الإلهيَّة هى التى تحرك وتصرف، وتُعدُّ «خديجة» لأن تكون بعد زمن يسير « **المسلمة الأولى» وأم المؤمنين الأولى وسيدة نساء العالمين، والزوجة المجاهدة الصابرة.**

(الأمين) علي تجارة (خديجة)

كان « الأمين» ـ ﷺ ـ حديث الناس فى « مكة»، يقدر الجميع ـ بلا إستثناء صفاته وأخلاقه، ويحترمون أمانته وورعه، ويُكبرون صِدقه وصواب رأيه.

ولقد ترك كل ذلك فى نفوس القرشيين عموماً ـ والمكيين خصوصاً انطباعاً عميقاً فى تقديره وتقديمه واحترامه ـ صلوات الله وسلامه عليه...

وكانت «خديجة بنت خويلد» ممن يسمعون أخباره وأنباءه، ويصغون إليها بإعجاب مشوبٍ بلهفة، وكثيراً ما حَدَّثها بذلك « خُزَيْمة » ، ابن عمها، صَديق«محمد» ورفيقه.

وتحركت فى أعماق نفس «خديجة»مشاعرِها وأحاسيسها...

فوجدت ذاتها يوماً ترسل رسولاً إلى« أبى طالب » تعرض عليه عرضاً سخياً، مقابل أن يتولى «**محمد ـ الأمين**» - ﷺ - أمر تجارتها وقوافلها المحملة بمختلف البضائع والعروض ورضى «محمد» -ﷺ- بذلك، واستبشر خيراً بأفق جديد ينفتح له فى آفاق الحياة الرحبة، وتهيَّأ للرحيل.

لكن « أبا طالب» كان شديد القلق على ابن أخيه، الذى وَصَّاهُ به خيراً الراهب « بحيراً»،(١)

فأتى إلى« ميسرَة» غلام « خديجة » يحذره، ويوصيه بـ « محمد».

(١) يكتب اسمه على صورتين: بحيرا، وبحيرى. ويلفظ: بُحَيرا(بضم الباء وفتح الحاء وسكون الياء)، ويلفظ أيضاً: بحيراً، (بفتح الباء وكسر الحاء).

وإزاء ذلك تركز اهتمام «ميسره» على «محمد» - ﷺ - يُراقبه ويرعاه، تنفيذاً لوصية أبي طالب ولقد رأى« ميسره من أمر «محمد » العجب العجاب:

شخصية خارقة، وخلق دَمث، وكلمة متَّزنة، ومشية كلها وقار، وحديث كله عذوبه، وأمانة مابعدها أمَانة، وصدق بالغ، وحنكة ودراية، يعجز عنها فحول التجار.

ورأى ما لا يمكن أن يستهان به، أو يُمَرَّ به مرور الكرام !!!

رأى السماء تظله بظلهاحين يشتد لهيب الشمس وغمامة تتبعه فى تنقلاته وتحركاته لتحميه من القيظ الشديد.

وعندما آوى مرَّة إلى شجرة ليستريح فى بعض ظلها... أورقت... واخضَرَّتْ وزَهَتْ.

لقد كان مايراه « ميسرة» من أمر «محمد» - «ﷺ» - غير مألوف بالنسبة إلى الناس، فازداد حِرْصُه عليه، ورعايته له، فى الحِلّ والترحال.

العودة الميمونة

عندما عادت القافلة إلى البلد الحرام (مكة المكرَّمة)، وقد ربحت بضاعتها، وكثرت غلّتها، وكان ربحها كثيراً وفيراً.....

وعندما أذَّن مؤذن العير بالوصول، قامت « خديجة» - على غير عادتها - إلى سطح دارها ترقب القافلة، واللهفة بادية على وجهها...

وبكلمات وجيزة وأدب جَمّ ووقار باسم أفضى «محمد» إلى «خديجة» بوقائع الرحلة.

وبعد انصرافه -ﷺ - من عندها حدَّثها غُلامُها «ميسرة»، عن البيع والشراء والربح الوفير الذى يفوق أضعاف أضعاف ما كانت تكسبه فى المرات

السابقة، وصفى «ميسرة» بين يدى سيدته شؤون القافلة المالية...

ولم يفته أن يحدثها الحديث الطويل الجميل عن فضل« محمد الأمين » فى كُلّ ذلك، ويفيض فى السَّرد والشرح والتعليق.

و«خديجة» - رضي الله عنها - فى كل ذلك سمَّاعة له، مصغية بأذنيها وجوارحها وعواطفها..، تستزيده فيزيدها ...، فينشرح صدرها وقلبها. وبعد هذا ...

استغرقت « خديجة» - رضى الله عنها - فى تأمُّلاتها وتطلُّعاتها، وسرح بها خيالها، فكان قلبها يزداد خفقاناً، ويضج بَيْن جوانحها.

بين الواقع والرؤيا

وما كانت - رضى الله عنها - لتنسى أبداً وهى فى حالتها هذه مارأته فى منامها منذ أمد...، إذ رأت الشمس - عظيمةً -، مُضيئة مُشرقة...، أشَدّ ما يكون الضوء جلالاً وجمالا وسطوعاً...، تَهبطُ إلى دارها من سماء «مكة » فيغمر ضوؤها مايحيط به من أماكن وبقاع..!

وأنّها على أثَر الرؤيا سعت إلى ابن عمها «وَرقة بن نوفل» تحدثه بذلك، فقال لها: لك البُشرى يا«خديجة» - يا ابنة العم -، فهذه الشمس المضيئة علامة على قرب مجئ النبىِّ الذى أظلَّ زَمانُه..، ودخولها فى ذلك دليل على أنَّك التى ستتزوجين منه.

رَجْع الرؤيا

فكرت فى ذلك ملياً، ثم استقر رأيها على قرار...

مضت إلى دار ابن عمِّها «ورقة» وحَدَّثَتْه - من جديد بحديث«ميسرة» عن «محمد» والغمام الذى كانَ يُظَلّله فى تنقلاته يحميه من وهج الشمس ولفحها وأذاها، فهتف« ورقة»:

- قُدُّوس . . قدُّوس . . ، لقد قَرب الأوان، واستدار الزمان، وآن لـ« مكة» أن تشهد الآية الكبرى.

وأَبْدَت «خديجة» رغبتها لابن عمهـا «ورقة» بالاقتران من «محمدِ بنِ عبد الله»؛ فوافقها . . ،

وعادت إلى دارها

ثم أَرْسَلَتْ « نفيسه بنت مُنيه» إلى«محمد» ـ ﷺ ـ تَذْكُرها عنده، وتعرض عليه نفسها.

فقال «ﷺ» لنفيسة:

- مابيدى ما أتزوج به . .

قالت:

- فإن كُفيت ذلك، ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف . . . ألا تجيب؟

قال:

- فَمَنْ هى؟

قالت:

- «خديجة»

قال:

- «بنت خويلد» ؟

قالت: - نعم . . .

فقال فى ابتهاج:

- وكيف لى بذلك؟

قالت:

- أنا أفعل . . .

فقال ﷺ :

- وأنا قد رضيت.

الزواج الميمون

عمّت الفرحة بيوت الهاشميين، وتناقل الناس النبأ العظيم، وتقدم «أبو طالب». يفتتح الحفل بالخطْبة، فقال: (الحمد لله الذى جعلنا من ذرية «إبراهيم» وزرْع «إسماعيل» . وجعل لنا بيتاً محجوباً وحَرماً آمناً، وجعلنا الحكّام على الناس.

أما بعد .... فإن ابن أخى

ابن أخى هذا « محمد بن عبد الله» لا يوزن برجل إلا رجح به شرفاً ونُبلاً وفضلاً وعقلا؛ وإذاكان فى المال قَلٌّ(١) فإن المال ظِلٌّ زائِلٌ وأمرٌ حائل.

و«محمد» من قد عرفتم قرابته، وقد خطب« خديجة بنت خويلد»، وبذل ما عاجله خمسمائة درهم،(٢) وهو- والله - بعد هذا له نبأٌ عظيم، وخطر جليل جسيم.

ثم تكلم "ورقة بن نوفل" - ابن عم "خديجة " - فقال:

(الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضّلنا على ماعددت، فنحن سادة العرب وقادتُها، وأنتم أهل ذلك كله، لا تنكر العشيرة فضلكم، ولايردّ أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا علىَّ يا معشر قريش بأنى قد زوَّجت **«خديجة بنت خويلد»** من **«محمد بن عبد الله»** على الصَّداق المسمّى)

ثم سكت ...

---

(١) قَلٌّ: قليل.

(٢)يلاحظ أن موضوع الصداق كان من أعراف الجاهلية، وقد أقَرَّة الإسلام من بعد.

فقال له " أبو طالب ":

- قد أَحْبَبْتُ أن يشركك عمُّها . . .

فقام « عمرو بن أسد» فقال:

(اشهدوا عليَّ معشر قريش أنى قد أنكحتُ « محمد بن عبد الله» «خديجة بنت خويلد»، فهُو والله الفحْل الذى لا يقرع أنفه . .)

ثم احتُفل بالزفاف، وأمرت « خديجة » مواليها أن يضربن بالدُّفوف ويغنّين.

وقال « أبو طالب»:

- الحمد لله الذى أذهب عنا الكرب، ودفع عنا الغموم .

وتأسس البيت النبوى الكريم.

وكانت « خديجة »- رضى الله عنها - يومذاك فى الأربعين من عمرها(١)، والنبى «ﷺ» فى الخامسة والعشرين.

من بيت « أبى طالب» إلى بيْت « خديجة»

وانتقل - عليه الصلاة والسلام - من بيْت عّمه«أبى طالب» إلى بيت«خديجة».

ومرَّت أيام الحياة بالزَّوجين على أهنأ ما تكون؛ فقد كان هذا الزواج فى حقيقته زواج عقل راجحٍ إلى عقْل راجح، وأَدَب جَمّ وطيب خلُق إلى مثله.

يقول أستاذنا « العقاد» - رحمه الله - فى وصف ذلك :

(لم يجد « محمد » - ﷺ - إلى جانبه فتاةً غريرة تنزع ولا تدرى ما تصنَع، بل وجد إلى جانبه قلباً كريماً، وروحاً عظيماً، وسكناً تهدأ عنده

(١) وفى قول : فى الثامنة والعشرين ، والأوّل أرجح .

جائشة ضميره، وتطمئن إليه خشبة فؤاده).

زهرات بيت النُبوّة

وبعد مرور عامٍ وبعض عام أنجبت « خديجة» - رضى الله عنها - «زينب». . ، كُبْرى بنات النبىِّ « ﷺ»، فملأت البيْت بالحركة والحيوية.

وبعد ذلك بعام، وضعت « رقيَّة»، فكانت محل الحُبِّ والإعْزار، ثم عقبتها« أمُّ كلثوم» ثالثةُ النجوم . . . !

فتهامس الناس فى أندية قريش بأن « محمداً » لا يُرزق إلا بنات . . . !

وحين دَخَلَ العام العاشر من الزواج الميمون كانت قد حملت « خديجة»، وتمنىّ المحبُّون والغيورون أنْ يكون المولود ذكراً.

وحلَّت فى ذلك العام بـ«قريش» كارثة، إذ احترقت أستار الكعبة ، ومرَّ بها سيل جارف فصدَّع جوانبها وأسقط بعض جدرانها . . ، وتنافس الناس فى البناء ـ بعد رهبةٍ وفَزَع ـ ، وشَمَّر الجميع عن ساعد الجِد، وحينما بَلغوا موضع « **الحجر الأسود**» اختلفوا . . . ، إذ تطلَّعت كُلُّ قبيلةٍ لأن تحظى بشرف إعادته إلى مكانه من الرُّكن . . . ، ثم اشتدَّ النزاع، وامتدت الأيدى إلى مقابض السيوف، ولولا كلمة صدرت عن « أميَّةَ بنِ المغيرة» المخزومى، فحجزتهم لَفَتَك بعْضُهُم ببعض، إذ قال لهم:

ـ يامعشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوَّلَ من يَدْخل من باب هذا المسجد، يَقْضى بينكم.

فقبلوا جميعاً، ثم تعلقت عيونهم بالباب تنتظر القادم المجهول . . ، وبينما هم كذلك إذ أقبل وجه يُضئ كأنه البْدر ليلة التَّمِّ، يعلوه الجلال، ويكسوه الوقار، متَّزن الخُطى من غير تكلُّف، رزين من غير فُتور . . .

فصاح الناس جميعاً:

ـ هذا الأمين . . . ، هـــذا « مـحمـد بن عبـد الله» ، رضـينا بحكمـه واسْتَبْشرنا بطلعته.

الحكمة النبويّة

ثم حكّموهُ فيما هم فيه مختلفون . . .

وبحكمته البالغة ـ ﷺ ـ طلب ثوباً طويلاً (رداءً) وضع فى وسطه «الحجر الأسود»، ثم طلب إلى الكبراء منهم أن يُمْسك كُلٌّ بطرف، ثم يَرْفَعُوه. . . ،

وأعاد « ﷺ » الحجر إلى مكانه بيده الشريفة، وحقن برجاحة عقله وسمُوٌ حكمته دماء القبائل من قريش.

وغادرهم إلى بَيْته، قلق البال على زوْجـته التى تَركها وهى تعانى من آلام الوضْع، دون أن تأخذه أو تهزّه نَشْوة الشّعـر الذى أخذ يردده النّاس، أنشودة على كُلِّ الأفواه:

تشاجَرت الأحيـاء فى فصل خُطَّـــة جَرت بينهم بالنّحس مـن بعد سَعـد
تلاقَوْا بهـــا بـالبغْض بـعــــد مـودَّةٍ وأوقـد نــــاراً بينهم شــرٌّ مـوقــد
فلمـا رأينا الأمـــر قــد جَـدَّ جـدةٌ ولم يبق شئٌ غــــير سَــلِّ المهنَّد
رضـينا وقُلنا: العـــدْلُ أوّل طـــالعٍ يجئ من البطحـاء من غـيـر مـوعـد
ففاجَأنا هـــــذا الأمين «محمـــدٌ» فقلنا:رضيـــنا بـالأمين « محمــــد»

وعلى بعـد خطوات من بابِ بيتـه «ﷺ» تلقّى البُشرى . . ،لقـد وضعَت «خديجة» الوليدة الجديدة الرابعة «فاطمَةَ الزهراء».

لقد وُلدَت ـ رضى الله عنها ـ فى اليوْم الذى أنقـذ الله فيه قريشاً على يد «محمد» ـ ﷺ ـ من فتْنةٍ عمياء، وصان عليها الدماء، وجاءَت « الزهراء» مع البشرى.

فجر الإسلام

وأخذت « خديجة » ـ رضى الله عنها ـ تـلاحظ سمات جديدة تعلو وجه النبى الكريم ـ ﷺ ـ وصمتـاً طويلاًعميقاً يلازمه، وتأمـلاً شديداً يسرح به، وهو مع هذا كُلّه يزداد تألّقاً وصفاءً، ويشعُّ نوراً وبهاء.

فأحست بقرارة نفسها وصدْق حدسها أنَّ الأمَر جلَل . . . !

فقامت خـير قيام بما يُمليـه عليها منطقها وأدبهـا، فوفَّرت للنبى «ﷺ» كُلّ أسباب الصفاء والسكينة، وما عكّرت عليه أبداً خلواته وتأمّلاته.

وتتابعت الرؤى يردف بعضها بعضاً. . .

وإنها لرؤى صادقة ..

فأخـذ يحدثها بكل مـا يراه ويعتريه، فـتستمع له بنـفس مبتهـجة وصَدْر منْشرح، وجماع مشـاعرها وأحاسيسها، لاتفارق الابتسامـة العذْبةُ فمها، ثمّ تُثبّتُه على ماهو فيه، وتبعث فى ذاته الشريفة العزم والتصميم.

فى غار « حراء »

وعندما أهلَّ هلال « رمضان» من ذلـك العام، كان انصراف النبى ـ ﷺ ـ وخلواته وتأمُّلاته أشَدَّ من ذى قـبْل وأبلغ . . . ، وقامت « خديجـة» بتهيـئة زاده، وتوفير جَوِّ الخُلْوة له فى غار « حِراء»، فى سكينة واسْتقرار.

وأرجف الناس بأن « محمداً » قد عَشق ربَّه . . . !

فما زادتْه أقاويلهم إلاّ رغبة عنهم، وبُعداً عن مجتمعهم وأنديتهم. . .

كما رأى كثير من القـوم بعض الخوارق والمعجزات فكانت مثار تكهُّناتهم ومـدعاة ظنونهم ، وافـتراءاتهم . . . . وكان « عليه الصـلاة والسلام » حين يمضى إلى « غار حراء » ـ لما حُبِّب إليـه الخلاء ـ تودِّعه « خديجة » خـاشعة

النفس، والهة القلب، آملةً راجية، ضـارعة إلى الله تعالى أنْ يكلأه ويرعاه، ويحقق آماله وتطلُّعاته.

ليلةُ القدْر

وفى يَوْم خالد على الدَّهر، وفى ليلة مبـاركة، وهى « ليلة القدْر» أشرقت الأرض بنور ربِّها، واصطفَّ الملأ الأعلى، وازيَّنَتْ السماء، ونادى المنادى:

ـ هذا يوم البشرى . . .

ثم هبط « جـبـريل » ـ عليـه الـسلام بـالأمْر المبين إلى الرسـول الأمين، قائلاًله:

ـ اقْرأ . . .

فقال النبى «ﷺ» :

ـ ما أنا بقارئ

فأخَذَهُ « جبريل » وغَطَّه (١) حتَّى أجهده، ثم أَرْسله وقال له:

ـ اقرأ . . .

فقال «ﷺ»:

ـ ما أنا بقارئ . . .

فأخذه وغَطه ثانيةً وثالثة، ثم قال:

﴿ اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [الفلق : ١ - ٥]

بعد هذه الـبشرى . . ، وبعـد هذا اللقاء العظيم، عـاد النبى « ﷺ » إلى

---

(١) غَطَّه: ضَمَّه وعَصَرَه بشـدَّة. ونلحظ ضـغطة الجسـم النُّورانى (جبـريل) على الجـسم البشرى (محمد) «ﷺ»!!!!

الصَّدْر الحنون، والقَلْب الكبير، والنفس المواسية . . .

عاد إلى « خديجة» واجفاً قلبه، يُحدِّثها بما رأى وسمع، وهو يقول:

ـ زملّونى... زملّونى...

فانصاعت ـ رضى الله عنها ـ لطلبه، وزمَّلَته في دثارِه، وهى تقول:

ـ أَبْشِرْ يا ابن عَمّ واثبت، فـقد أريدَ بك الخيـر العظيم، وإنَّك والله لأَهْل لكلّ خير، والله لا يخـزيك اللهُ أبداً ، إنك لَتَصِلُ الرَّحم، وتصدُق الحديث وتحمل الكَلّ، وتقرى الضيّف، وتعين على النوائب.

ومازالت به حتى طَعم وشرب وضحك، وذهب عنه روْعه.

ثم إنها ـ رضي الله عنها ـ قـصدت به إلى ابن عَمِّها « ورقة بن نوفل »، فحدَّثه النبىُّ « ﷺ» بحديثه وشأنه، وما أن فرغ حتى هتف « ورقة »:

ـ قُدُّوس. . . قُدُّوس. . . ، والذى نفسُ « ورقة » بيده لقد جاءك الناموس الأعظم الذى كان يأتى « موسى». . ، وليتنى أكون حياً إذ يُخرجكَ قَوْمك.

فقال النبى «ﷺ»:

ـ أوَ مخرجىَّ هم؟

فأجابَ « ورقة »:

ـ نعم. . . ، لم يأت رَجُلٌ قطُّ بمثل مـا جئت به إلا عُودِىَ، وإن يدركنى يومك لأنصرُنَّك نصراً مؤزَّرا.

أوّل الناس إسلاماً

● أسلمت « خديجة ». . .

● وآمنت الزوجة الوفية. . . !

ولم تقف فى إيمانهـا عند حدٍّ مـعيَّن، بل انطلقت فـى سبيـل الله مثـبّتةً

رسوله، داعيةً لدينه، باذلة الغالى والنفيس لأجله.

ثم تتابع الوحْى على رسول الله « ﷺ » يأمرُه أن يقوم فينْذر عشيرته الأقربين (وأنذر عشيرتك الأقربين) .

فترك فراشه ودثاره، وأمنه وراحته، وقام. . . ، فقالت « خديجة »:

- يا «أبا القاسم» (١) عُد إلى فراشك، فلا بُدَّ لك من راحة، فلماذا لاتنام؟

فأجابها « ﷺ»:

- لقد انقضى زَمَنُ النَّوْم والراحة يا « خديجة»...

السابقون السابقون

ثم تتابع دُخول المؤمنين فى موْكب الإيمان، وأخذت المسيرة طريقها إلى الله تعالى، فَأَسْلَمَ على التتابع الفتى: « علىٌ بن أبى طالب » والموْلى«زيد بن حارثة» «والصِّديق» « أبو بكر » و« عثمان بن عفان » و« سعْد بن أبى وقاص» و«أبو عبيدة بنَ الجراح» و«الزبيْر بن العوام» و«عبد الرحمن بن عوف» .

(اصدعْ بما تُؤْمر وأعْرِض عن المشركين)

ومكث « عليه الصلاة والسلام » يدعو إلى الله سِراً ثلاثة أعْوام، حتى أمره الله سبحانه وتعالى أن يجهر بالدعوة، إذ أوحى إليه قوْله الشريف:

﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ .

وفى هذه المرحلة بدأ الصراع العنيف الحاد من قبل قريش « لدعوة الحق» وأخذ صناديدُها يناصبون رسول الله « ﷺ» العداء، ويفتنون أصحابه؛ فلم يضعف ولم يهن ولم تَلِنْ له قناة.

(١) كان قد وُلدَ له « ﷺ» ذَكَرٌ فسُمِّى بـ «القاسم»؛ وبه كان يُكنَّى ، كذلك رزق من خديجة بعبدَ الله والطيب أو « الطاهر » وَماتوا صغاراً لم يبلغ الحلم منهم أحد .

وأمْعَنَ « أبولـهب» (١) فى إيذاء النبى «ﷺ»، فـأمـر ولديه: « عـتبـة» و«عتـيبـة» أن يطلِّقـا ابنتى رسول الله « ﷺ» «رقـية» و«أم كلثـوم »، نكايةً وتشفِّياً. . . !

لكنَّ رحمـة الله أوسع وأعظم. . . وقريـبةٌ من المحسنين. . . ، فـلم يترك الأمر يبلغ مداه وغايته، إذ جاء « عـثمان بن عفان »ـ رضى الله عنه ـ؛ وهو أكثرشباب «قريش» مالاً ، وأكرمهم نسباً - يخطبُ « رُقَية» إلى نفسه ، فكان العزاء الكبـير لقلب النبى « ﷺ» ، ولزوجـته « خديجـة » ـ رضى الله عنها ولِـ « رُقيَّة» نفسها.

الصابرةُ فى البأساء والضرَّاء

وامتدْت يد « قـريش » إلى تجارة « خديجة »تنال منها، فتـصادرِالأموال ، وتقطـع السُّبل ، وتحـرِّضُ الأتبـاع ، وتـرشـوا المسـاهمين، وتـخطف الأولاد. . . ، فكانت ـ رضى الله عنها ـ تتقبل كل ذلك بِصبْر وَجَلَد، راضية مرضية.

وكثيراً ما كان يأتى رسـول الله « ﷺ» إلى منزله معفَّر الجبين، وقد أصابه سفهاء القوم بالأذى. . ، فتتلقاه « خديجـة » بحنانها وحبِّها، فتمسح جراحه الزكيـة ، وتغسل وجهه الشـريف، بيدٍ حانيـةٍ رقيقة. . . ، ولا تزال تواسـيه بالكلمة الطيبة حتى يبتسم ويتناول طعامه.

الجزاء الأوفى

ويهبط مـن الملأ الأعلى « جبريل » ـ علـيه السلام. حـاملاً البـشرى إلى المؤمنة الصابرة والمسلمة المجاهدة، والزوجة الوفية، فيخبرها رسول الله «ﷺ» بذلك قائلاً:

(١) عم النبى «ﷺ» واسمُهُ « عـبـد العُزَّى » وكـان من أشد المشـركين عـداوةً لرسـول الله «ﷺ»، وإنما لُقِّب بـ« أبى لهب » لشدة حمرةٍ كانت فى عينيه.

ـ (لقد أمرنى « جبريل » ـ عليه السلام ـ أن أُقْرِئَك السلام، والله تعالى يبشرك ببيت فى الجنة من قصب[١]، لا صخبَ فيه ولاَ نصَب.

وحين أذن النبى «ﷺ» لأصحابه بالهجرة إلى «الحبشة» فراراً من أذى قريش وظلمها، وَدَّعت «خديجة» ـ رضى الله عنهـا ـ ابنتها «رقية»، المهاجرة بصحبة زوجها « عثمان بن عفان » رضى الله عنه ـ،وهى تكبت فى أعماق ذاتها نوازع الأمومة، محتسبةً فلذة كبدها، وبضعة فؤادها أمانة بين يدى الله تعالى.

القطيعة، فى «شعْب أَبى طالب»

لم تفلح وسائل « قريش» أبداً فى فلِّ عزيمة النبى «ﷺ» وصحبه، فلجأت إلى سلاح جديد، هو سلاح المقاطعة.

فلا مجالسة، ولا مبايعة، ولا شراء، ولا مزاوجة، ولامخاطبة مع الهاشميين وأنصارهم، يعني: لا تعايش على الإطلاق !!

وكتبوا بذلك وثيقةعلقوها على جدران « الكعبة » الداخلية، فأضطرَّ المسلمون ـ ومعهم بنوهاشم ـ الاعتزال فى شِعب من شِعاب « مكة»- عُرِف بـ« شعب أبى طالب» ـ ، ثلاثة أعوام !!! يقاسونَ من الشدائد والمتاعب والمصاعب ماتنهار له الشمُّ الرواسى، وتتزلزل معه أصلب النفوس.

وكان لـ « أم المؤمنين » ـ « خديجة»، رضى الله عنها، فى سنوات المحنة هذه فضْلٌ كبير . . . كانت تواسى نساء المسلمين بنفسها ومالها، وتغدق عليهم من فيض حنانها ومحبتها وإيمانها، وتُنفق إنفاق من لا يخاف فقراً ولا شُحّاً ولا عِوزا.

ثم انهارت مقاومة قريش أمام صلابة المؤمنين وصبرهم، وصدق عزائمهم،

---

(١) القصب: اللؤلؤ المجوَّف، أوالجوهر.

وانجلى الحق. . . ، وعـاد المسلمون إلى « مكة »، وهم أشَدّ مـضاءً، وأقـوى إسلاماً.

عام الحُزْن

تتابع نزول الوحْى، وأخذ أمـر الرسالة يقوى، ورايتهـا تعلو، ويكثر عدد المؤمنين. . . ، ممّا جعَل الصّراع بين الايمان والكفرَ يْشـتد ضِرامُهُ وتتوقَّد ناره، ويلتهب لظاه. . .

وفى عامٍ واحد ـ العام العـاشر من البعثة النبويَّة الشـريفة ـ أُصيب رسول الله-ﷺ - بحادثين جَلَلَيْن جعلاهْ يُسمَّى ذلك العام: « عام الحزن».

فقـد توُفِّى عَمُّه «أبو طالب»، الذى كان درعه الواقـية، يدفع عنه الأذى، ويحميه من سفهِ السُّفهاء، تهابُهُ « قريش» لمكانته فيها، وتحترمه لرجاحة عقله وسداد رأيه.

لقد انطفأ السِّراج اللامع. . . !

وذرف رسول الله « ﷺ» الدموع الغزيرة. . !

لقد مات (الرَّجُل) الذى كفله صغيراً، ورعاه يافعاً، وحماهُ نبياً ورسولاً.

ثم لحقْته « خديجة ». . .

إذ أوهنت سنوات الحصار والمقاطعة ـ بقسوتها وشدة وَطأتها ـ جَسَدَ النبيلة الطاهرة، والمجاهدة الكريمة الصابرة، فسقطت صريعة المرض.

وأحسَّ النبىُّ «ﷺ» بالحزنِ والأسـى، كـما أحـاطـت بالفـراش الطاهر: «زينب» « ورقـيـة » و« أم كلثوم» و« فـاطمـة » يبكين أغلى الأمّهات وأكـثر المجاهدات.

ثم دنا منها رسول اللهﷺ باكياً ،وهو يقول :

ـ(ما أمَرَّ الفراق يا « خديجـة»، سيكون اللّقاء فى الجنَّة، فى قصْرك الذى

أعَده الله لَكِ من لؤلؤ مضئ . .)

فتجيبه الصّدّيقة مع آخر نسمة من نسمات الحياة:

ـ إن شاء الله . . .

ويبكى النبى «ﷺ» وتبكى بناته، ويخلو البيتُ الكريم من الشُّعلة الإيمانية التى أضاءَتْ جوانبه وآفاقه ، ثمانية وعشرين عاماً.

ولحقت « خديجة » ـ رضى الله عنها ـ بالرفيق الأعلى، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصِّدّيقين والشهداء والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،



النشاطات

الأسئلة:

١- كيف كانت نشأة « خديجة» ـ رضى الله عنها ـ وممَّن تزوجت قبل رسول الله -ﷺ -؟

جـ١ـ ....

٢ـ ماذا كانت تعملُ بعد وفاة زوجيها؟

جـ٢ـ ....

٣ـ ما اللقب الذى عُرفت به فى « قريش » ؟ ما سبب ذلك ؟

جـ٣ـ ....

٤ـ كيف خرج رسول الله « ﷺ» فى تجارة«خديجة»؟

جـ٤ـ ....

٥ـ اذكر عَدَد البنين والبنات الذين ولدتهم من رسول الله «ﷺ» وأسماءَهم.

جـ٥ـ ....

٦ـ ماذا صادفَ ولادة فاطمة ـ رضى الله عنها ؟

جـ٦ـ ....

٧ـ أين كان رسول الله « ﷺ» يقضى أكثر أيامه مختليا؟

جـ٧ـ ....

٨ـماذا تسمى الليلة التى بدأ فيها الوحى؟ وما هى أول الآيات نزولا؟

جـ٨ـ ....

٩ـ كيّف أخبر زوجته « خديجة»؟ وماذا قالت له؟

جـ٩ـ ....

١٠ـ تحدَّث عن تحمُّل « خديجة » وصَبرها وتثبيتها لرسول الله « ﷺ».

جـ١٠ـ ....

١١ـ بماذا أخبرها رسول الله « ﷺ» عن جزائها عند الله تعالى؟

جـ١١ـ ....

١٢ـ كيْف وَدَّعت ابنتها « رُقَيَّة » يوم الهجرة إلى الحبشة؟

جـ١٢ـ ....

١٣ـ تحدَّث عَنِ القطيعة التى فرضتْها قريش على المسلمين و « بنى هاشم »؟

جـ١٣ـ ....

١٤ـ ماذا أصاب « خديجة » خلال هذه الأعوام؟

جـ١٤ـ ....

١٥ـ ماذا يسمى العام الذى توفى الله تعالى فيه « خديجة » و«أبا طالب»؟

ج١٥ـ ....

١٦ـ بماذا خاطب رسول الله « ﷺ» « خديجة» عند وفاتها ؟

جـ١٦ـ ....

النشاطات

٢ـ التمارين :

(أ) تحدث فى حدود عشرة أسطر عن حياة« خديجة» قَبْل الإسلام:

١ـ ....

٢ـ ....

٣ـ ....

٤ـ ....

٥ـ ....

٦ـ ....

٧ـ ....

٨ـ ....

٩ـ ....

١٠ـ ....

(ب) تحدَّث فى حدود عشـرة أَسْطُرٍ عن بدء النبُّوة وموقف«خديجة» رضى الله عنها :

١ـ ....

٢ـ ....

٣ـ ....

٤ـ ....

٥ـ ....

٦ـ ....

٧ـ ....

٨ـ ....

٩ـ ....

١٠ـ ....

* * *

زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

(١) خديجة - رضي الله عنها -

- أولُ الناس إيماناً وإسلاماً.
- أول أمَّهات المؤمنين ، وسيدة نساء العالمين.
- أول مَن تَحمل في سبيل الله.
- كانت القلب الكبير ، والصَّدْر الحنون، والعقلَ الرزين.
- بَشَّرَها رسولُ الله « ﷺ » ببيت في الجنَّة من قصَبٍ ، لا نَصبٌ فيه ولا وَصَب.
- منها و حدها كانت السُّلالة الشريفة والذُّريَّة الطاهرة.
- ظَلَّتْ ذكراها في قلْب النبيِّ « ﷺ » عَطرةً طيّبة، حتى لحق بالرفيق الأعلى.
- وامتدَّت الذكرى عبْر القرون مَثَلاً أعْلى في النساء، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

***

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي الإسكندرية : ٢ش منشا محرم بك -
ت: ٤٩٠٧٩٩٨ - ٤٩٠١٩١٤ فاكس: ٥٩٥١٦٩٥
مكتب توزيع القاهرة ت: ٣٨٣٢٧٤٧